

في الطريق :

سلوكنا الاجتماعي

نشرت المقطم الخبر التالي تحت عنوان : "لحظة شاب ونخوة ضابط" وبتوقيع "راكب"
 "ركب شاب وفئة مركبة من مركبات الأنوبيس رقم ٦ حائدين من الجيزة ، وجلسا
 جلسة صربية نفرت الركاب ولم يفهم أحد منهم بكلمة ما . ولم يتخذ هذا الموقف سوى راكب
 ركب أخيرا ورأى ما رآه الركاب فطلب من الشاب الاعتدال في جلسته ، ولكنه كان مستهترا
 غير مؤدب فلم يذعن لقوله ، فأفهمه الراكب أنه ضابط برتبة قائمقام ، وأنذره إذا لم يعتدل
 في جلسته أن يسلمه للبوليس واترع يده من مكانها ، وألقى عليه درسا في الأخلاق ارتاح له
 الركاب وأثنوا على نخوة الضابط في زمن ساءت فيه الأخلاق ."

وهذه هي حادثة من الحوادث الكثيرة التي تقع كل يوم إن لم تكن في هذا اللون ففي
 ألوان أخرى ، وجميعها تتركز على شيء من سوء الأدب كما تتركز على الروح الفردية التي
 لا تفرض للمجتمع وجودا . ويحتاج الإنسان لكي يوقف مرتكبها عند حددهم أن يكون
 "ضابطا برتبة قائمقام" أو يعرض نفسه لمشاحنات ربما لا يجد من الجمهور المتمدن عليه
 من يعاونه فيها لضعف الروح الاجتماعية عند الجميع .

والأمثلة على سوء سلوكنا الاجتماعي كثيرة . وفورة تقع من الصغار والكبار ومن المتعلمين
 والجهلاء ، ومن الراقيين والأوساط والمنحطين ، لأن الدافع عليها عند الجميع هو روح
 الفردية التي تتغفل في الجميع ، وضعف الشعور بالمجتمع عند الأفراد ، وضعف هذا المجتمع
 نفسه عن وضع حد لاعتداءات الأفراد عليه .

وأبسط المظاهر كأكبرها سواء في الدلالة على هذه الحقيقة ، وليس من الضروري أن
 تصل الحادثة في سوء الأدب إلى مثل ما رواه "راكب" في "المقطم" لتدل على ضعف
 الروح الاجتماعية ونقص آداب السلوك ، فكثير من البسائط يدل هذه الدلالة نفسها ، مما
 سنضرب له الأمثال :

هذا شاب يسوق سيارة وقد وقف بها أمام منزل وأخذ يضغط على جهاز التنبيه ويطلقه
 بشدة مزعجة لأنه يريد أن ينبه صديقة أو صديقا في الطابق الرابع ، دون أن يخطر له ببال
 أنه يزعج السكان ويزعج المسارة في الحى كله بهذا الضجيج ، وقد يخطر بباله هذا ، ولكن
 ماذا يهمه ، ما دام هذا أسهل عليه من صعود السلم لتنبيه من يريد !

ومثل هذا أولئك الذين يركبون "الموتوسيكل" ويروحون به ويفدون في سرعة خاطفة وفرقة فظيعة من أول الشارع إلى آخره ليظهروا براعتهم أو يلفتوا أنظارا خاصة إليهم في النوافذ وغير النوافذ ويعاكسوا الفتيات المسارات ، ويدهمسون من يدهمسون في سبيل هذه الأغراض الصغيرة .

وهذا رجل يلوح عليه أنه مهذب ، وقد جالس في القهوة يلعب "الزرد" وأخذته حماسة اللعب ، فهاهو ذا يرفع يده "بالقشاط" ويخبط به خشب "الطاولة" في عنف وصخب ، وزميله يقلده أو لعله هو الآخر من محبي الخبط والرقع . . . ولكن ما ذنب بقية الجلوس ، وفيهم من جاء إلى موعد هام يصنف به بعض المسائل الهامة ، وفيهم الصحفي الذي جلس يكتب على عجل خبرا سمعه ، وفيهم مرحق الأعصاب الذي جالس هنا يستريح ! وهأنذا جالس في السينما وقد استغرقت في متابعة مشاهد الرواية في عقدة من عقدها — وقد تكون مائة — فاذن بك أن تصل إلى سمعك في هذه اللحظة ضحكة مدوية ، لأن شبانا وقناة هنالك في أقصى السينما أو لأن جماعة ذات ذوق "مجليط" كانوا قد أخذوا في رواية أخرى تدور بينهم وقد عنت لهم ضحكة في مجرى قصتهم الخاصة ؟ !

بل ها أنت ذا تسمع إلى مطرب أو مطربة وقد ذهبت مع اللحن أو الصوت وطربت كما هو حقك أن تطرب ، ولكن ها هو ذا صوت أجش تدوخ منه رائحة السكر وتضج منه العريضة ، أو ينبعث منه الذوق السيئ ، والإحساس الغليظ ، يصبح من خلفك ويكاد يغم أذنيك : "الله يا ... والنبي كان" !

ثم ها أنت ذا في مكان مزدحم تنبعث فيه الأنفاس الكثيرة حتى يثقف الناس أنفاسهم وهنا وفي هذا الجوار الخائق يحاول التدخين ، فها هي ذى اللقائف تشعل هنا وهناك ، وهام أولاء المدخنون ينفضون السم الزعاف في وجوه المجتبعين لا يباليون سيدة تشعل ولا طفلا يحشرج ولا مريضاً يلقف ، لأنهم هم مبسوطون لا يحسون هذه الدخنة القابضة !

وفي الترام أو في المركبات العامة وقد امتلأت المقاعد ، ماتحس إلا وراكب قد ألقى بنفسه عليك إلقاء ، وعندما تلفت إليه تجده قد ابتداء يقول لك : « عن إذنك قليلا » ولا « قليل » هناك لأن المكان قد استوفى ركابه ، ولكنه دائب على زحزحتك رويدا رويدا في صمت حتى يحشرك فيمن حولك ، فإذا خطر لك أن تنقذ الموقف بأن تقف وتتحلى له عن مكانك نظر إليك شررا كأنك أنت الذي ارتكبت الجريمة لأنك لفت نظر الركاب إليه !

وهذا يوم عطلة في الشتاء وقد جلست في شرفتك تستمتع بدفء الضحى ، وما تشعر إلا والعبار نازل على رأسك ووجهك إثر ضربات متتالية وفرقة وطريقة ! ماذا ؟ لا شيء ! فإن خادمة للسكان في الدور الأعلى تنظف السجادة ! أليسوا أحرارا في تنظيف معابدهم يا أخ !

ودعك من آداب المرور في الطريق ، ومن الجملامات المتشابكة الأيدي ، ومن الجالسين على الكرسي فوق الأرض وقد مدوا أرجلهم ونعالهم في وجوه المارة وعاقوهم عن المرور ودفعوا بهم إلى عر السيارات .

ودعك من المسارين تحت النوافذ وأمام الأبواب وهم يقذفون من أفواههم أبدا الألفاظ وأحط العبارات مصحوبة بالضحكة المعروفة ” هاو أو أو “ ! والناس في بيوتهم ونوافذهم مجبرون على سماع هذا البذاء .

ودعك من البصق في الطريق وإلقاء الأوراق المهملة والصناديق الخاصة بذلك على مرأى العين . فهذه أشياء بسيطة لا تلفت أحدا ولا تستدعي الانتباه !



كل هذا وأمثاله مصدره ضعف روح المجتمع ونقص آداب السلوك . والمجتمع مسئول عن ذلك لتهاونه في حقوقه ، فلو أن كل فرد مهذب يرى أحد هذه الظواهر تقع عليه أو على سواه ثم تمسك بتأديب مرتكبها — مع ما قد يتعرض له من متاعب — كما صنع ذلك الضابط الشهيم الذي تحدث عنه ” راكب “ بالمقطم ، لخفت حدة هذه الظواهر الشائنة شيئا فشيئا .

ولكننا جميعا نراها كل يوم ، وبعضها يقع تحت طائلة العقاب القانوني لو ضبطناه ، فلا نكلف أنفسنا أن نتصدى له ، لأن تصدينا يضع علينا بعض الوقت ، ويعرضنا لبعض المتاعب ، وقد نجد في بعض الأحيان من رجال البوليس تثبيطا لهمتنا بسبب ضعف الروح الاجتماعية في نفوسهم من جهة وبسبب تراكم الأعمال عليهم من جهة أخرى .

ولكن هذا جميعه لا ينبغي أن يصدنا عن أداء هذا الواجب القومي ، فالمهذبون في الشعب عليهم واجبات قومية في مثل هذا الطور من حياتنا ، وإليهم توجه الحديث ، فلو أنهم جميعا تمسكوا بتأديب واجباتهم في هذا السبيل لوجد المستهترون أنفسهم بعد مرة ومرة مضطرون لتلبية الواجب الاجتماعي ، ولعاونهم الجمهور على أداء مهمتهم متى رأى شدة تمسكهم بها ، وعدم اهتمامهم بما قد يوجه إليهم أول الأمر من تهمة الخدقة والتدخل فيما لا يعينهم كما يحدث في بعض الأحيان .

إن عليهم أن يشمروا أنهم أفضل من الجمهور ، وأنهم بسبب هذا ملزمون بتهديب الجمهور وفي الوقت نفسه لا يحفلون باتجاه الجمهور ضدهم في أول الأمر لعدم فهمه حقيقة بواعثهم وأهمية عملهم ، فالعمل الخير يجتذب النفوس لتأييده في النهاية ولا سيما نفوس الجماهير الساذجة . وذلك حتى يكون لنا بيت مصرى ومدرسة مصرية يحاول كلاهما أن يثبت الروح الاجتماعية في النفوس وأن ينهض بآداب السلوك ما